نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) في ذكرى مولده

الجمعة الموافقة ٦ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ الموافقة ٢٠٢٠/١٠/٢٣م

الجمعة الموافقة ١٤ من ربيع الأول ١٤٤٥هـ الموافقة ٢٠٢٣/٩/٢٩م

الجمعة الموافقة ١٥ من ربيع الأول ١٤٤٨هـ الموافقة ٢٠٢٦/٨/٢٨م

أولا: العناصر:

١. تميّز الأنبياء والمرسلون بالفضائل الإنسانية.

٢. بيان رأفته ورحمته (ﷺ).

٣. من مظاهر رأفته ورحمته (ﷺ).

٤. الخطبة الثانية: وجوب التأسي برحمته (صلى الله عليه وسلم).

ثانيا: الموضوع:

الحمد لله ربّ العالمين، أنار الوجود بميلاد خير مولود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، سبحانه بعث فينا رسولا من أنفسنا يتلوا علينا آياته، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، وقد كنّا من قبله في ضلال مبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا، وحبيبنا، وشفيعنا مُحَمَّداً عبده ورسوله،

هو الذي قد حاز كل الكمال *** وخصّ بالفضل وحسن المقال**

هو الذي جاءنا من الله رحمةً *** مفرقًا بين الهدى والضلال**

محمدٌ المبعوث من هاشم *** أفضل من حاز جميع الخصال**

صلى الله عليه طول المدى *** ما عطّر الكون نسيم الشمال**

فاللهم صلْ وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وأصحابه الأخيار، ومن سار على نهجهم إلى يوم القرار. أما بعد:

(١) ((تميّز الأنبياء والمرسلون بالفضائل الإنسانية))

فمن المعلوم شرعًا ـ وكما هي عقيدة أهل الإيمان ـ أن الأنبياء والرسل يتمتعون بكل كمال بشري، وعلى رأسهم سيدنا رسول الله ﷺ، فقد حباه الله (عزّ وجلّ) بالعديد والعديد من الفضائل الإنسانية، وجمّله وزينّه بمكارم الأخلاق حتى خاطبه قائلا له: **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[القلم:٤]، وقد أخبر النبي ﷺ بنفسه عن ذلك، فقال: **(أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي)**(أدب الإملاء لابن السمعاني)، ولا عجب في ذلك فالنبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته هي الرسالة العالمية الخاتمة الباقية ليوم الدين، قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}**[سبأ:٢٨].

(٢) ((بيان رأفته ورحمته (صلى الله عليه وسلم))

ولقد تجلّت تلك الفضائل الإنسانية، والمكارم الأخلاقية واتضحت في جوانب عديدة من حياة النبي ﷺ، منها: **رأفته ورحمته ﷺ**، فلقد تمتع ﷺ برحمة ورأفة عامة شملت المؤمن والكافر، بل شملت الإنس والجن، وامتدت حتى شملت الطيور والحيوانات والحشرات.

وقد عرف العلماء الرأفة والرحمة وفرقوا بينهما فقالوا: **الرحمة:** هي رقة في القلب تقتضي الإحسان وسوق وإيصال المسار (النفع والأشياء التي تسر) إلى المخلوقات. **والرأفة:** هي رقة في القلب أيضًا ولكنها تقتضي دفع وإبعاد المضار (الأشياء التي تضر) عن المخلوقات، قال تعالى: **{وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}**[النور:٢]

فبينهما عموم وخصوص فالرأفة هي الرحمة الشديدة أو المبالغة في نوع مخصوص من الرحمة، وهو دفع المضار، فكل رأفة رحمة، وليس كل رحمة رأفة، وقيل: إن الرحمة من باب التحلية، والرأفة من باب التخلية.

والرأفة والرحمة من أعظم الجوانب الإنسانية التي تمتع بها النبي ﷺ، حتى أن القرآن الكريم وصف النبي ﷺ بأنه مصدر الرحمة وعينها، وهذا هو سر التعبير بالمصدر في قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**[الأنبياء:١٠٧]، وقال ﷺ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ)**(مستدرك الحاكم)، ولولا رحمة النبي ﷺ ورأفته ما نجح في إبلاغ رسالة ربه، وما نجح في تأليف القلوب من حوله، قال تعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}**[آل عمران:١٥٩].

(٣) ((من مظاهر رحمته ورأفته (صلى الله عليه وسلم))

فكما اتسعت وامتدت رحمته ﷺ حتى شملت جميع المخلوقات؛ فقد تعددت مظاهر الرأفة والرحمة عند نبينا ﷺ، كالتالي:

حزنه وأسفه (صلى الله عليه وسلم) على عدم إيمان قومه، حتى كاد أن يهلك نفسه، قال تعالى: **{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}**[الكهف:٦]، وقال تعالى: **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}**[الشعراء:٣]، أي: قاتلها، ومهلكها حزنًا وأسفًا على عدم إيمانهم، ولذا حذّرهم النبي ﷺ من عدم الإيمان، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: لما أنزلت هذه الآية: **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}**[الشعراء: ٢١٤]، دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قريشا، فاجتمعوا فعمّ وخصّ، فقال: **(يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا...)**(رواه مسلم).

ومن مظاهر رأفته ورحمته ﷺ أيضًا: **أنه (صلى الله عليه وسلم) أختبأ دعوته المستجابة ـ أخرها، وأجلّها ـ شفاعة لأمته يوم القيامة، يشفع بها لأهل الكبائر، ويدخل الجنة بها قوم بلا حساب، ولا سابقة عذاب، ويدخل بها قوم الجنة بعد أن تبين استحقاقهم دخول النار**، بينما تعجّل كل نبي دعوته، ودعا بها في الدنيا، قال ﷺ: **(لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)**(متفق عليه واللفظ لمسلم).

ومن مظاهر رأفته ورحمته ﷺ أيضًا: **تخفيفه على أمته في العبادات والطاعات**، قال ﷺ: **(لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ)**(متفق عليه)، وقال ﷺ: **(لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ)**(رواه البخاري)، وقال ﷺ: **(لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُؤَخِّرُوا العِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِهِ)**(رواه

الترمذي)، أي: يؤخروا صلاتها، وقال ﷺ: **(لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي، وَلَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي)**(متفق عليه واللفظ لمسلم)، وقال (صلى الله عليه وسلم): **(إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ وَذَا الْحَاجَةِ)**(متفق عليه واللفظ لمسلم)، وحينما فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج خمسين صلاة ظل النبي ﷺ يتردد بين سيدنا موسى (عليه السلام) والمكان الذي ناجى فيه ربّ العزة تبارك وتعالى حتى صارت الصلاة خمسا في العمل خمسين في الأجر، وامتنع النبي ﷺ من الخروج لصلاة التراويح في المسجد بعد أن صلّاها بالصحابة ليلتين أو ثلاثة خشية أن تفرض عليهم، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: نزل رسول الله ﷺ فصلى في المسجد ذات ليلة في رمضان، وصلى خلفه ناس بصلاته، ثم نزل الليلة الثانية، فكانوا أكثر من ذلك، ثم كثروا في الليلة الثالثة، فلما كانت الليلة الرابعة، غصّ المسجد بأهله، فلم ينزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقالوا في ذلك: ما شأن رسول الله ﷺ لم ينزل؟ فسمع مقالتهم، فلما أصبح، قال: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ، وَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ إِلَّا مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ قِيَامُ هَذَا الشَّهْرِ)**(مسند أحمد).

ومن مظاهر رأفته ورحمته ﷺ أيضًا: **عنايته بالأصناف والفئات الضعيفة**: قال ﷺ: **(ابْغُونِي فِي الضُّعَفَاءِ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ، وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ)**(مستدرك الحاكم).

ومن مظاهر ذلك؛ وصيته بالنساء عموما؛ أمًّا، و أختًا، وزوجًا، وبنتًا، قال ﷺ: **(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)**(متفق عليه واللفظ للبخاري).

ومن مظاهر عنايته ﷺ بالضعفاء؛ وصيته بالأيتام، قال ﷺ: **(كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ)** وأشار بالسبابة والوسطى (رواه مسلم).

ومن مظاهر عنايته ﷺ بالضعفاء؛ وصيته بالأرامل، والفقراء، والمساكين، قال ﷺ: **(السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ)**(متفق عليه).

ومن مظاهر عنايته ﷺ بالضعفاء؛ تحمله الدين عن المدينين، قال ﷺ: **(مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [الأحزاب: ٦]، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا، فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ)**(متفق عليه واللفظ للبخاري).

ومن مظاهر عنايته ﷺ بالضعفاء؛ عنايته بالخدم، والعمل على تحرير الرقيق، قال ﷺ: **(أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ)**(متفق عليه)، وعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر (رضي الله عنه) بالربذة (موضع بالقرب من المدينة)، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابيت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: **(يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)**(رواه البخاري).

ومن مظاهر عنايته ﷺ بالضعفاء؛ عنايته بكبار السنّ، والشيوخ، قال ﷺ: **(إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ)**(رواه أبو داود)، وعن أنس بن مالك (رضي الله

عنه) قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: **(لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)**(رواه الترمذي)، وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: **(ثَلَاثَةٌ لَا يَسْتَخِفُّ بِحَقِّهِنَّ إِلَّا مُنَافِقٌ: إِمَامٌ مُقْسِطٌ، وَمُعَلِّمُ الْخَيْرِ، وَذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ)**(مصنف ابن أبي شيبة).

ومن مظاهر رأفته ورحمته ﷺ أيضًا: **شفقته ورأفته بالحيوانات والطيور والحشرات**، فقد دخل رسول الله ﷺ ذات يوم حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جملٌ، فلما رأى النبي حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه (مؤخر رأسه) فسكت، فقال: **(مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟)**. فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: **(أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ)**(رواه الترمذي).

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (طائر صغير كالعصفور) معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (ترفرف بجناحيها وتقترب من الأرض)، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **(مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا)**. ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: **(مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟)**. قلنا: نحن. قال: **(إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ)**(رواه أبو داود).

عباد الله أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له

(الخطبة الثانية)

(((وجوب التأسي برحمته (صلى الله عليه وسلم)))

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فقد رأينا جانبًا من رحمته ﷺ، والواجب على كل واحد منا أن يتأسى ويتخلق بأخلاقه ﷺ عملًا بقول الله (عزّ وجل): **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}**[الأحزاب:٢١]، فينبغي أن نتحلى بالرأفة والرحمة مع بعضنا البعض الحاكم مع المحكومين، الرئيس مع المرؤوسين، الغني مع الفقير، الصحيح مع المريض، الشاب مع الشيخ، الكبير مع الصغير، الرجل مع المرأة...وهكذا، قال ﷺ: **(الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ...)**(رواه الترمذي).

إن التخلق، والتحلي بأخلاقه ﷺ علامة على محبتنا الحقيقية لله، وفيه محبة لله (عزّ وجلّ)، وفيه غفران للذنوب وستر للعيوب، قال تعالى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**[آل عمران:٣١].

كما أن التخلق، والتحلي بأخلاقه ﷺ علامة على كمال الإيمان بالله (عزّ وجلّ)، فعن عبدِاللهِ بنِ عَمرو بنِ العاصِ، أن النبي ﷺ، قالَ: **(لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هَواهُ تَبعاً لِما جئتُ به)**(رواه النسوي في الأربعين).

فاللهم اهدنا لأحسنِ الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرفُ عنا سيئها إلا أنت، اللهم جنبنا منكراتِ الأخلاق والأهواء، والأعمال والأدواء، اللهمّ آمين، اللهمّ آمين.

كتبها الشيخ الدكتور: مسعد أحمد سعد الشايب